لقد سبق واشرنا الى طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع الغزي عند حديثنا عن الظروف التي كان الاخوان المسلمون يعملون في ظلها ، وبمقدار ما كانت تلك الثقافة ملائمة لنشاط الاخوان وطروحاتهم ، فقد كانت معاكسة نسبيا للمفاهيم التي كان الشيوعيون يطرحونها . وقد غذيت الثقافة السائدة بالحملات المستمرة التي كانت تقودها الدوائر الحاكمة ، مكرسة بذلك الشيوعية كأحد الاخطار التي يجب اتقاؤها .

وعلى الرغم من هذه الظروف الموضوعية غير المواتية ، والصعبة ، فقد أعطى الشيوعيون القوى المعادية لهم سلاحا فتاكا لضربهم به ، وذلك عندما اتخذ الشيوعيون العرب عام ١٩٤٧ موقفا مؤيدا لقرار التقسيم ، ومعارضا لفكرة شن الحرب على الصهيونيين ، ولم يعارضوا شن حرب ١٩٤٨ من زاوية طبيعة الاستعدادات ، او الاهداف الخبيثة التي كانت تحرك قادة العرب ، بل عارضوا الحرب من ناحية المبدأ ، وكانوا بموقفهم هذا منسجمين مع قرارهم في تأييد قرار التقسيم . ولذلك فقد عزلوا انفسهم عن الكتلة الجماهيرية العريضة التي تشكل المادة البشرية لتحركهم ، واعطى المبرر لقمعهم وزجهم في المعتقلات ، فكانوا الضحايا الاول للاحكام العرفية التي اعلنتها اكثر من حكومة عربية تحت غطاء الحرب على اسرائيل .

ولكن الاكثر خطورة من حملات القمع التي تعرض لها الشيوعيون ، وهي حملات تجري ضدهم في كل وقت وزمان ، ولم تمنع نشاطهم ، كان عجزهم عن استثمار الهزيمة التي منيت بها الجيوش ، وبالتالي الانظمة العربية ، من حيث ان الهزيمة اتت لتشكل دليلا جديدا على فساد تلك الانظمة ، واعتبارها المسبب الاول للهزيمة . ولكن موقف الشيوعيين المعارض للحرب بشكل مبدئي قد وضعهم موضوعيا في موقع هذه الانظمة . لانه ، وان كانت الانظمة قد حاربت وفشلت ، فهم عارضوا فكرة الحرب من اساسها ، « نصرا كانت نتائجها أم هزيمة » كما كان يروج في ذلك الحين . وهكذا استؤنفت حملات القمع ضدهم تحت حجة تأييدهم لقرار التقسيم ، وامتناعهم عن الحرب ، من دون ان نشك ، للحظة واحدة ، ان أهداف تلك الحملات هي ابعد ما تكون عن الاهداف الوطنية . والامر الذي زاد المسألة تعقيدا هو ضخامة حجم القضية الوطنية فلسطينيا ، التي لم تطغ عليها دعاوى المشكلات الاجتماعية التي كان للشيوعيين منها موقف جذري يوازي موقفهم من القضية الوطنية . وهو موقف شبيه بموقف الشيوعيين المصريين الذين وان دفعوا ثمنا باهظا لموقفهم تجاه قضية فلسطين ، فان هذا الموقف سرعان ما طمس نسبيا تحت وطأة اهتمامات جديدة ويومية اشغلت الناس .